ســـليمان الحـكيم

لتوفيق الحكيم !

للأستاذ ســـيد قطب

— ١ —

« يبدو أن فصل النقد الفنى هو الفصل المتخلف فى كتاب الأدب العربى الحديث . وقد لمست هـذا فى المناسبة القريبة بين الأستاذ « دريني خشبة » وبيني كما لمسته من قبل مرات .

فنحن : إما أن نحب فنبالغ فى الاطراء ، وإما أن نكره فنبالغ فى القدح ، وإما أن نكسل فلا نستقصى عن عمل من نتصدى لهم بالنقد ، وإما أن نتحكم بمزاجنا ونفرض تحكمنا على القراء !

وسأحاول فى الفصول التى أقولها فى النقد الأدبى لأعلام العصر الحديث أن أتوقى كل هذا بقدر المستطاع . والله يلهمنا طريق السداد »

هـذه هى التمثيلية الخامسة لتوفيق الحكيم التى يستلهم فيها الكتب الدينية أو الأساطير . وقيمة استلهام هذه المصادر وأمثالها هى فى الصورة الجديدة التى يجلوها الفنان ، وفى ملء الفجوات التى يعنى بها الفن وقد لا يعنى بها الخبر ولا الأسطورة ؛ وفى التعميم الذى يخرج بها من الجو المحدود والمناسبة العارضة إلى الجو العام والحقيقة الخالدة

وتمثيلية « سليمان الحكيم » مستلهمة من القرآن الكريم ومن التوراة ومن ألف ليلة وليلة . فلننظر فى المواد الخامة التى كانت بين يدى المؤلف حين همّ أن يصوغ تمثيليته الجديدة ، لنعرف كم استمد منها وكم زاد عليها ؛ فتلك هى الخطوة الأولى فى الوزن الفنى لمثل هذا العمل

قصة سليمان وأخباره فى القرآن الكريم فى سورتى النمل وسبأ معروفة أو فى متناول كل قارئ ، فلست فى حاجة أن أثبتها هنا ، فأكتفى إذن بتسجيل نظرة القرآن إلى سليمان الحكيم ؛ فهو نبي أوتى العلم والحكمة ، ووُهب ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده ، وعلّم منطق الطير ، وسخرت له الريح والجن والإنس

وأما قصته فى التوراة فقد لا تكون فى متناول القراء ، فألخص هنا بعض ما يحتاجون إليه منها فى هـذا السياق ، وما كان بين أقواس من هذا التلخيص فهو نص منقول :

ورد فى « سفر الملوك » من العهد القديم أن سليمان كان ملـكاً بعـد أبيه داود يعاصر بين أنبياء إسرائيل وكهانهم « ناثان النبي » و « صادوق الكاهن » . وقد طلب سليمان من إلـهه أن يعطيه الفهم والحكمة ولم يطلب لنفسه مالاً كثيراً ولا عمراً طويلاً ، فكافأه الرب على ذلك بأن وهبه الحكمة التى طلب والملك الذى لم يطلب

« وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق ، وكل حكمة مصر » ... وكان صيته فى جميع الأمم حواليه ، وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت أناشيده ألفاً وخمسة[1] . وتكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان إلى الزوفا النابت فى الحائط ، وتكلم عن البهائم ، وعن الطير ، وعن الدبب ، وعن السمك »

وبنى سليمان بيتاً للرب جلب أخشابه وزخارفه من مختلف الأمصار حوله . وصاهر فرعون ملك مصر فكان هذا دليلاً على عظمته !

« وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان فأتت لتمتحنه بمسائل » وقد جاءت معها بهدايا كثيرة . ولما رأت سليمان وحكمته وعظمة ملكه ، أعجبت به وبحكمته وسلطانه « وأعطته مائة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة » وأعطى سليمان للملكة كل مشتهاها الذى طلبت ... فانصرفت وذهبت إلى أرضها[2] »

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة — مع بنت فرعون — مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات . من الأمم الذين قال عنهم الرب لإسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم » .

وتذكر التوراة بعد ذلك أن نساء سليمان بلغن الألف عداً ، بين زوجات وسرارى . وأن بعض نسائه أملن قلبه ، وكان فى شيخوخته « فمال وراء آلهتهن ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت إله الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين » وانتهى الأمر بغضب إلهه عليه وانتزاع الملك منه ...

وأما قصص ألف ليلة وليلة فهى معروفة كذلك لعامة القراء ؛ وقصص الصيادين الذين يعثرون بالعفاريت فى قماقم

(١) ومن هذه الأناشيد « نشيد الانشاد » وقد انتفع به توفيق الحكيم فى موضع مناسب من تمثيليته واستوحاه فى تعبير سليمان عن حبه .

(٢) وتذكر بعض تفاسير القرآن أنه زوجها من أحد الأمراء التابعة

مسحورة ، وقصص الأحياء الذين يسحرون أحجاراً أو أشياء أخرى ويوضع طلسم خاص لفك سحرهم معروفة كذلك

ومفروض أنه كان بين يدى المؤلف بعض ما كتبه عن « سليمان الحكيم » فى الفرنسية الفيلسوف « رينان » ، وبخاصة ما كتبه عن « نشيد الإنشاد » نشيد الحب والربيع والشباب وهو من نظم سليمان

* * *

هذه هى الخامات التى كانت بين يدى توفيق الحكيم . فلننظر كيف استخدمها فى تمثيليته

لقد انتفع بالمصادر الثلاثة على السواء ، وزاوج بينها ، وفسرها وأضاف إليها بحرية كاملة ، وهذه الحرية معترف بها للفنان الروائى بلا جدال

فهو قد اختار أن يكون سليمان نبياً كما جاء فى القرآن ، وملكا كما جاء فى التوراة . وقد جاءته الخطيئة الدينية — فى التوراة — من جانب المرأة ، فجعلها توفيق تجيئه من ناحية المرأة أيضاً ولكنها خطيئة إنسانية لا دينية . واختارت له التوراة غضب الله وانتزاع الملك ، ولكن المؤلف اختار له أن يتوب عن خطيئته وأن يقاسى عذاب ضميره

وقد أثار بين المُلك والإنسانية ، وبين الحكمة والنبوة ، فى نفس سليمان صراعاً نفسياً عنيفاً . فتغلب الملك أو تغلب الإنسان فيه عند القدرة وبدافع الرغبة ، وتغلبت الحكمة أو تغلب النبي فيه عند الاصطدام وبدافع اليأس

وبعض تفاسير القرآن زوّج « بلقيس » من أحد الأمراء ، ولكن المؤلف جعلها تعلق بحب هذا الأمير ، وجعله يعلق بحب وصيفتها « شهباء » !

ثم استعار من ألف ليلة وليلة أحد عفاريتها وأحد صياديها . ولكنه استعارها ليشيع الجو الأسطورى فى التمثيلية من ناحية ، وليستخدمها فى الصراع بين الخير والشر ، وبين الضمير والشهوة ، من ناحية أخرى ؛ وليرمز بها إلى التكامل والتصارع فى نفس الإنسان الواحد من ناحية ثالثة

* * *

ومن هذه الخامات حاول أن ينشىء تمثيلية تعالج الصراع الأبدى بين الخير والشر وبين الضمير والرغبة — وتهدف مع هذا الصراع إلى الاتجاهات التالية :

١ — تغليب الجانب الإنسانى على الجانب المقدس فى نفس النبي ... سليمان !

٢ — قداسة القلب الإنسانى فى الحب والسخرية بجميع قوى الأرض أمام هذه القداسة

٣ — الجحود والوفاء والخير والشر ، واجتماعها فى الحب الإنسانى جنباً إلى جنب

٤ — رفع الستار عن بعض القداسات ، وغمزات للكهان وأشباه الكهان

٥ — الآلام والحرمان والعجز والفجيعة هى التى تشع الحكمة وتهدىء الفورة وتفتح البصيرة

٦ — السخرية بحكمة الإنسان المحدودة مهما سمت وبقوته مهما عظمت أمام الحكمة الكونية الكبرى

٧ — التفسير النفسى — من جانب الفن — لبعض الحوادث والروايات فى حياة العظماء !

فلنستعرض التمثيلية استعراضاً مجملاً لنرى إن كانت قد أدت هذه الأغراض ، وإن كانت قد جمعت إليها جمال الفن وحركة الحياة . وتلك شروط الرواية الجيدة بالإجمال .

(حلوان) — يتبع

سيد قطب

مناقصة

تقبل إدارة حفظ الآثار العربية شارع الوالدة رقم ١ بقصر الدوبارة عطاءات عن ترميم قبة مسجد سنان باشا ببولاق طبقاً للمقايسة وعقد الشروط العمومية اللذين يمكن الحصول عليهما من الادارة المذكورة نظير دفع ٣٠٠ مليم وتحدد آخر ميعاد لقبول العطاءات الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ٢٤ أبريل سنة ٩٤٣ . ولمقدمى العطاءات حق حضور جلسة فتح المظاريف بوزارة المعارف فى الساعة الثانية عشر ظهر اليوم المذكور ٤٨٢